

شارك في معارض عربية ودولية ورفض مغادرة الموصل : رحيل التشكيلي العراقي راكان دبدوب... رسام الطبيعة والتاريخ



[1]

بغداد - «القدس العربي» - من صفاء ذياب: ودّعت مدينة الموصل رائد الفن التشكيلي الحديث فيها؛ الفنان راكان دبدوب، الذي يعدّ المؤسس الأول للتجربة الجديدة في الرسم، بعد رواد شكّلوا المدارس التقليدية فيها. دبدوب رفض الخروج أو مغادرة مدينته الأم الموصل، على الرغم من كل ما عاشته خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وبقي ملتزماً ببيته الذي بناه بيديه، وشكّله كما يشكّل لوحاته وهو يعيد رحم مدينته مع كل مرحلة تمرّ عليها. دبدوب ولد في الموصل عام 1941 وتخرج في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام 1961، ليكمل بعد ذلك دراسته العالية للفن التشكيلي في أكاديمية روما عام 1965.. عمل دبدوب أستاذاً للفن في كلية الهندسة قسم العمارة في جامعة الموصل، واستمر في عمله هذا حتى تقاعده عام 1993.

كانت المشاركة الأولى لدبدوب في معرض الجريدة الإيطالية السنوي وحصل على دبلوم ومدالية فضية لسنتين 1962 و1963، ليحصل بعدها على جائزة دانتي في معرض أقامته العلاقات الثقافية الإيطالية العربية في روما عام 1962، كما حصل على الجائزة الثانية في مسابقة سان رومانو الذي أقامته بلدية روما عام 1962. ربما كانت هذه البدايات سبباً ليشكّل دبدوب رقماً صعباً في التشكيل العراقي والعربي عموماً، حتى أقام أكثر من خمسة وثلاثين معرضاً لأعماله الشخصية في العراق والعالم. فضلاً عن الرسم، فإن لدبدوب نتاجات في النحت والتخطيط والتصوير الفوتوغرافي ونحت الخشب والبرونز والمرمر والفخار والموازيك والكرافيك وغيرها الكثير من النتاجات في مختلف الفنون.

الموصل عشقه الدائم

كانت مدينة الموصل محور أغلب لوحات دبدوب، فقد رسم مدينته في لوحات كثيرة معبرة جداً عن إحساس هذه المدينة، كما يقول الكاتب عماد رّمو الذي تناول أربع لوحات عن الموصل في دراسة مطوّلة له، هذه اللوحات تمثّل انتقالاً من هوية وعمق وعمارة المدينة، إلى تجريد كامل لبانوراما

رؤيته المثالية لها. من مدينة ضبابية، شتائية بألوان داكنة حزينة وعمق أزقتها يطول ويطول وسماء بلون الأرض، قُب زرقاء ترتفع منها ونوافذ موصلية مغلقة وثلاث أشجار. إنها حزينة حقاً كمدينة شتائية، لينتقل بعدها إلى مدينة ريفية هادئة في تكوين بديع وانتقالات لطيفة بين المدينة والأفق في تكوين مثالي الشكل، قُب تُرفَع منها الصلوات وأبواب مفتوحة للجميع، نوافذ مضاءة بالوان زاهية. مدينة خضراء. الضوء الرباني الذي يشع من خلف المدينة يكون سماءً ذهبية زاهية في لونها وصفائها. الخطوط المائلة التي احتوت ظلال البيوت والجوامع تحولت إلى سطوح أضافت عمقاً جديداً وحاداً لهذه المدينة.

أما في لوحته (مدينة رقم 3) فنجد الموصل تلبس ثياب العيد، حيث ابتهجت بهذه الألوان الرائعة. ندخل إلى قبيها وبيوتها، انتقل رائع من المنظور الخارجي إلى المنظور الداخلي بمقطع معماري التكوين رائع في هندسته. لقد جمع بين تقنية اللون والشكل في جدارية رائعة تشع الفرح والبهجة من خلال نوافذها الملونة. طيارات العيد الورقية مزجت حركة المدينة مع استقرار التكوين وأعاد دبدوب ذكرياته الطفولية عندما كان أطفال الحارة يتسابقون في الطيران بأحلامهم الورقية.

لكن دبدوب يعود في لوحته (مدينة رقم 4) إلى التجريد الكامل والانتقال إلى عمق وإحساس المدينة في جدارية طويلة الشكل. امتزجت السماء بالأرض وانعكس ضوء بيوت مدينته على النهر في لوحة بديعة. الأزرق هنا يشكل أكثر من ثلثي اللوحة، ولكنه تفاعل مع عمارتها وأضاءت الألوان الأخرى الأشكال التي تتراقص في تشكيلة بنائية جميلة.

ويشير رمّو إلى أن دبدوب لا يرسم فقط في هذه اللوحات وإنما يعزف موسيقى رائعة من خلال الإحساس الذي يمزجه ويضعه في التكوين الكلي والأجزاء وأشكالها واللون وتدرجاته مع جدران تتمكن من لمسها بحيث تشعر أحياناً بأنك تتجول في مدينته من خلال ريشته... هذه اللوحات تكون مع بعضها بعضاً سمفونية تشكيلية ولونية يعزفها مرة ثانية بريشته على قماش اللوحة. كل لوحة هي جزء ولحن من ألحان مدينته، إنه يعزف من خلال الألوان، وكما الموسيقى نفسها تثبت في النفس إحساساً معيناً وتسرد قصة حبه.

خُذ الفنان مدينته بهذه السمفونية التشكيلية التي ستنقى عالقة في ذاكرة التاريخ دائماً. يبحث دائماً عن التجديد ولا يحب التقليد أبداً وخلق لنفسه ولفنه أسلوباً مميزاً لا يستطيع أي فنان آخر أن ينافس عليه. لقد درس شكل الفوهة كثيراً منذ أن كان طالباً في روما، وقام بتطويرها لتصبح الفوهة مفتاح وختم جميع لوحاته، فقلما تجد لوحة له لم يختمها بفوهة أو أكثر، إنها الختم الاسطواني له. لقد رسم الطبيعة كما هي ورسم التاريخ كما هو في الكتب أيضاً. كان يرسم الأشياء ويبسطها إلى درجة الكمال، ثم يهب لها لونها وملمساً متفرداً، حتى أنه يقول عن نفسه: أنا وجدت نفسي الآن، أرسم الأشياء التي أبحث

عن غرابتها وأريد أن يكون رسمي غريباً.

لوحات الانتماء

ويقول الفنان التشكيلي زياد جسام إن أعمال دبدوب لا تخلو من رمزية انتمائه لحضارة عريقة أنجبت العديد من المبدعين، وأهله لأن تكون لديه مقدرة على تجاوز نمطية الأساليب التي باتت مستهتلة، إذ اختار رموزاً جديدة في محاولة لإدراجها ضمن تشكيل الحداثة، فقد استطاع أن يكون من الفنانين الجماهيريين، إذ انتشرت أعماله بين شريحة كبيرة من العالم. مضيافاً: ربما كان عارفاً بهذا كي يكون خطابه يتبع أثراً مضي. اختار مشغله وتجاربه الذاتية بهدوء، وكان يرسم أعماله وينفذ نماذجها بعناية بعيدة عن التكرار.. يراها المتلقي كل حسب زاويته، وإغناء العمل بما يحمل من تقنيات إبداعية هي التي تحدد تعدد الزوايا واختلاف الرؤية من عين لأخرى.. إن الإشارات والرموز ذات اللون الأصيل في تقنياته هي التي ميزت أعمال هذا الفنان الرائد. لقد ترك في ذاكرتنا إرثاً فنياً ذا قيمة لا تقل أهمية عن إرث الحضارة الرافدينية، إذ أصبحت أعماله تراثاً تشكيمياً وفكرياً في التأريخ المعاصر، فهو يرسم بطريقة التجريب إذ اشتغل على أكثر من مدرسة فنية، واستنبط لوحاته من الواقع بصورة تعبيرية مجردة. إن ما يلفت الانتباه في أعماله خلال مسيرته الفنية تلك الثقوب المرسومة بغرابة، حيث الإثارة والتعظيم والانسحاب الذاتي لكتلته التي أصبحت بمثابة بصمة شخصية ميزت كل ما ينتجه، صاغ شخصياته ومفرداته بشكل متراس، إلا أنه ترك بعض الفضاءات لإثراء العمل وإعطائه قيمة دلالية فنية فكرية، توزيعه للألوان النقية والفكرة يجعل اللوحة متحركة بين الشكل والمضمون.

استطاع دبدوب أن ينطلق بعقله الإبداعية المتوقدة الخاصة باعتماده رموزاً محلية نحو النجومية، إذ أصبح من رواد الحركة التشكيلية العراقية ولم يقتصر على ذلك، إذ إن نجمه يلوح في الكثير من بلدان العالم. إن وعي دبدوب البصري منحه الفرصة الكافية لإنتاج فن عميق وبخيله الواسع راهن على إيقاف المتلقي، وجعله في حوار مشترك يأخذه لعمق اللوحة، حيث التأمل في عالم انفعالي بلغة بصرية توحى بالكتلة والحجم والحركة، هكذا برزت على لوحاته تلك التأملات التي يمكن أن نؤولها أكثر من مرة خلال مشاهدتنا لأي عمل من أعماله، صنعها بتجريد مبسط وحيادية تقصح عن نفسها، خالفاً بذلك تجسيد واقعية الزمكانية، تلك التقنية وفرت له هوية تشكيلية شخصية متفردة، ووحدت أعماله من حيث إمكانية وضعها ضمن إطار

تجاور شكل أو مضمون أو الاثنين معاً، دون إحساس بخلل، فكل منهما يكمل الآخر، لوحاته متناغمة في توزيع الفراغ والمساحات اللونية، من هنا تأتي قوة أعماله، حيث المرونة والصلابة في سطوحها، كما أنه أضاف لها نصوصاً ذهنية، حيث اعتمدها وارتكز عليها في عمله التشكيلي، ليصل بها إلى أقرب نقطة من الحداثة. حاول راكان دبدوب التركيز على خطاب غير معقد، لكنه غير مبسط أيضاً، هذا سر إبداعه الذي اقتحم به الوسط التشكيلي في بداية الستينيات، إنها تجربة فريدة لها بصمة تعكس ذاته أمام مرآة الفن العراقي المعاصر.

نشاط استثنائي

عرف الفنان بنشاطه الفني المتميز، فقد شارك بمئات المعارض المشتركة، فضلاً عن معارضه الشخصية التي تجاوزت 35 معرضاً منذ منتصف ستينيات القرن الماضي حتى أوائل عام 1990 الذي شهد معرضه الشخصي السادس والثلاثين. كانت معارض راكان دبدوب الشخصية مراحل نوعية توضح نشاطه في مجال البحث الدؤوب والتجديد المستمر، كان هذا الفنان يهتم بمتانة البيان للوحاته، التي كانت قوية التأسيس مترابطة ما حدا ببعض المعلقين إلى القول بأنه يرسم كأنه ينحت، وبالفعل فقد كانت أعماله المنفذة بشكل خاص في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القوة والكثافة اللونية ما يوحي للناظر كأنها ذات بعد ثالث. وفي معارضه المتأخرة ومشاركاته في أواخر التسعينيات في العاصمة الأردنية عمان، رأى بعض النقاد أن أعماله فقدت بعض زخمها وكثافتها وربما لعب وضعه الصحي وإصراره على المحافظة على الزخم نفسه السابق دوراً في ذلك. وفي معرضه الذي أقامه على قاعة نظر، قدم فنان آخر هو الفنان عامر العبيدي أعمالاً عن إنسان مستوحى تستطيل مقاسات جسده ويجلس مستطرقاً ساهماً عديم الملامح تبرز على الخلفية من وراء تكويناتٍ تعبيرية تشبه الكراسي كأنما صنعت من خشب صلد... إن موضوع الإنسان المستوحى الصامت التي تكررت بطرق مختلفة ومبتكرة في أعمال الكثير من الفنانين العراقيين في تلك الحقبة تعكس الشعور الحاد بالأزمة الوجودية والاعتراب، وهي غالباً ما تكون قناع الفنان.

شارك في معارض عربية ودولية ورفض مغادرة الموصل : رحيل التشكيلي العراقي راكان دبدوب... رسام الطبيعة والتاريخ

[Share on Facebook](#) [2]

[Click to share on Twitter](#) [3]

[Click to share on Google+](#) [4]

[Click to email this to a friend](#) [5]

Comment To 1 "شارك في معارض عربية ودولية ورفض مغادرة الموصل : رحيل التشكيلي العراقي راكان دبدوب... رسام الطبيعة والتاريخ"

#1 Comment By [زيد خلدون جميل](#) On Feb 14, 2017 @ 10:41 pm

مقال لطيف.

Article printed from القدس العربي Alquds Newspaper: <http://www.alquds.co.uk>

URL to article: <http://www.alquds.co.uk/?p=674338>

Copyright © القدس العربي Alquds Newspaper. All rights reserved.